تحديات العالم والوطن العربي للمشكلات البيئية

الدكتور بوسماحة الشيخ

جامعة ابن خلدون – تيارت

مقدمة

إن السلوك الإنساني هو العامل الأساسي الذي يحدد أسلوب وطريقة التعامل مع البيئة واستغلال مواردها ، ولا شك أن للتربية والتثقيف البيئي دورا مهما في ترشيد هذا السلوك وحفزه للمحافظة على الموارد واستغلالها بشكل عقلاني يحقق مصالح الأجيال الحالية والمستقبلية ، دونها إهدار وتلوث ، على أساس مبدأ الحوار والمشاركة والانفتاح على البيئة المحيطة.

I- مفهوم البيئة

منذ القدم يهتم الإنسان بالبيئة ، إذ شهد العالم انعقاد أول مؤتمر بالأمم المتحدة للبيئة البشرية في مدينة ستوكهولم بالسويد تحت شعار " نحن لا نملك إلا كره أرضية واحدة " ومنذ هذا الحدث احتلت كلمة البيئة " مكانة كبيرة في كافة المجتمعات وأصبحت نجما ساطعا مع طلوع شمس القرن العشرين وبزوغ شمس القرن الحادي والعشرين ، فأصبح الناس يستعملون مفاهيم عديدة يعبرون فيها عن شتى مواضيع البيئة كالانفجار السكاني – التلوث - الأمن الغذائي ، أزمة المياه ، طبقة الأوزون..الخ.

ولم يعد خافيا أن المحيط الذي يعيش فيه الإنسان يتعرض للانتهاك والاستنزاف بصورة سافرة ، مما يؤدي إلى ظهور مشكلات أخذت تهدد سلامة الحياة البشرية بل تنوعت وتشبعت مع تنوعات النشاطات البشرية وتشبعها تلك النشاطات التي تتجه للبيئة باستمرار إشباع العديد من الرغبات والحاجات ، وإزاء هذا كله ، باتت حاجة الإنسان اليوم لفهم المحيط الذي يحيا فيه أكثر من أي وقت مضى ، لا بل وجدنا الإنسان مرغما لدراسة المشكلات البيئية الأكثر إلحاحا وظهوره ، بغية التصدي لها والتخفيف من آثارها ، ومن هنا برزت جهود للإحاطة بمشكلة الصحية والاجتماعية والاقتصادية ، واتجهت جهود أخرى لتطويق المشكلة السكانية التي أضحت من اخطر المشكلات التي تواجه الإنسان في الكثير من البلدان ، وعلى وجه الخصوص النامية منها ، كما انصبت جهود أخرى لملاحقة مشكلة الغذاء التي تترك أثارا سلبية على جوانب الحياة البشرية.

لذا اهتمت جهود أخرى بالبحث عن أزمة الطاقة ، وغيرها لنظر في أزمة المياه أما المشكلة البيئية التي باتت ترغب الإنسان وتقلق راحته فتتمثل في تآكل طبقة الأزون التي تمنع وصول أشعة الشمس ذات الموجات القصيرة المهلكة إلى الأرض.

معنى البيئة

لغة : اسم مشتق من الفعل الماضي باء وبوأ ومضارعه يبوء ، وتشير معاجم اللغة العربية إلى أن هذا الفعل قد استخدم في أكثر من معنى ، ولكن أشهر هذه المعاني هو ما كان في أصلح اللغوي يرجع إلى الفعل باء ومضارعه يتبوأ ، بمعنى نزل وأقام ،وقد جاء في المعجم الوجيز توأ فلانا منزلا بمعنى انزله وبوأ المنزل بمعنى أعدهن وتبوأ فلان المكان أي نزله وأقام فيه ، وتبوأت

منزل أي نزلتهن وبوأت الرجل منزلا أي هيأته ومكنت له فيه ، والبيئة تعني في اللغة : المنزل وهي ما يحيط بالفرد أو المجتمع ويؤثر فيهما.

وقد جاء استعمال أصل كلمة البيئة في القرآن الكريم في عشرة مواقع.

قال تعالى : " **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ...**" . سورة يوسف / الآية 75 ، أي ينزل من بلادها حيث يشاء.

وقال تعالى في سورة الأعراف الآية 74 : " **وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً** " ، أي جعل الأرض منزلا لكم.

وقال تعالى : " **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء** " . سورة الزمر / 74 ، أي ينزل كل واحد منا في أي مكان يريده من الجنة.

وقال تعالى : " **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئهم من الجنة غرفا** ". العنكبوت / 58 ، أي لننزلهم من الجنة أعاليها وهو الفردوس.

وفي سورة الحشر الآية 9 يقول تعالى : " **والذين تبؤ الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم** " .أي أنهم اتخذوا المدينة والإيمان مباءة .

وفي سورة يونس الآية رقم 87 يقول جل وعلا : " **وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبؤا لقومكما بمصر بيوتا** " أي اتخذ ألقومكما منزلا تسكنون فيها.

وقال تعالى في سورة آل عمران الآية 161 : " **وإذا غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال** " الي تنزلهم وتهيئ لهم مقاعدهم وأماكنهم في الحرب " .

قال تعالى في سورة النحل الآية 41 " **والذين هاجروا في الله من بعدما ظلموا لنبوئهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون** " أي لننزلهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم.

وقال تعالى في سورة الحج 26 " **وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البين أن لا نشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود** " ، أي أذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة له عليه السلام أي مرجعا يرجع إليه للعمارة والعبادة.

وقال تعالى في سورة يونس الآية 93 : " **ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم**" أي أسكنهم وأنزلهم بعد أن أنجاهم وأهلهم أعداءهم منزلا صالحا مرضيا مباركا.

يتضح من هذه الآيات القرآنية الكريمة أن أكثر معاني البيئة استخداما في القرآن الكريم هو معنى النزول بمنزل الإقامة بمكانهم ، مشتقة من الفعل الماضي (بوأ) ومضارعه (يتبوأ) أي نزل وأقام ، ولم يختلف استعمال السنة النبوية المطهرة للفظ " البيئة " في هذا المعنى عنه في القرآن الكريم ، إذ يقول الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث الشريف:" **من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعدة من النار**"

وهكذا يتضح لنا أن اللغة العربية ، موثقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ،قد برهنت لنا عروبة لفظ البيئة ، وإنها ليست ، كما يعتقد البعض ، تعريبا لاسمها المتداول في الغرب **Environnement** ، على أن الأمر لم يقف عند حد اللغة فحسب ، بل نجد لعلماء العرب والمسلمين وعلى رأسهم عبد الرحمن بن خلدون قص ب السبق في تحديد مفهوم البيئة وتعريفها.

ولا يختلف المعنى الاصطلاحي للبيئة عن معناها اللغوي كثيرا ، وعلى الرغم من أنه لم يكن هناك اتفاق بين الباحثين والعلماء على تحديد معنى البيئة اصطلاحا بشكل دقيق ، إلا أن معظم التعريفات تشير إلى المعنى نفسه ، ويشير بعض الباحثين إلى أن البيئة هي ذلك الإطار الذي يحيا فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته ويمارس فيه علاقتها مع بني البشر.

ويرى زين الدين عبد المقصود : أن البيئة بمفهومها العام هي الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان مؤثرا ومتأثران وهذا الوسط قد يتسع ليشمل منطقة كبيرة جدا ، وقد يضيق ليتكون من منطقة صغيرة جدا ، قد لا تتعدى رقعة البيت الذي يسكن فيه.

ليس هناك من اختلاف كبير بين الباحثين فيما يتعلق بمكونات البيئة من حيث المضمون وإن اختلفت المفردات، أو اختلف عدد هذه المكونات، فمؤتمر ستوكهولم عام 1982 يؤكد على أن البيئة هيكل شيء يحيط بالإنسان ومن خلال هذا المفهوم الشامل الواسع للبيئة يمكن تقسيم البيئة التي يعيش فيها الإنسان مؤثر ومتأثرا إلى قسمين مميزين هما:

1- البيئة الطبيعية Naturel Environnement

ويقصد بها كل ما يحيط بالإنسان من ظواهر حية وغير حية وليس للإنسان أي أثر في وجودها، وتتمثل هذه الظواهر أو المعطيات البيئية في البنية والتضاريس والمناخ

والتربة والنباتات والحيوانات ، وتختلف البيئة الطبيعية من منطقة إلى أخرى تبعا لنوعية المعطيات المكونة لها.

2- البيئة البشرية Humain Environnement

ويقصد بها الإنسان وإنجازاته التي أوجدها داخل بيئته الطبيعية بحيث أصبحت هذه المعطيات البشرية المتباينة مجالا لتقسيم البيئة البشرية إلى أنماط وأنواع مختلفة.

فالإنسان من حيث هو ظاهرة بشرية يتفاوت من بيئة لأخرى من حيث عدده وكثافته وسلالاته ودرجة تحضره وتفوقه العلمي مما يؤدي إلى تباين البيئات البشرية ، ويميل بعض الباحثين إلى تقييم البيئة البشرية إلى نوعين اجتماعية وثقافية.

II-أهم المشاكل البيئية في العالم والوطن العربي

لقد تدخل الإنسان بشكل مسافر في أنظمة البيئة المختلفة محدثا خللا كبيرا في توازنها الطبيعي ، وقد فات الإنسان أنه عنصر مكمل لعناصر البيئة ، وبدون التعامل معها حسب قوانينها وأنظمتها فإن الضرر لن يصيبها وحدها ، بل سوف ينعكس عليه لا محالة ، وقد أدى التعامل غير العقلاني للإنسان مع البيئة على ظهور مشكلات بيئة رئيسة.

أولا: مشكلة الانفجار السكاني.

ثانيا: مشكلة التلوث.

ثالثا: مشكلة استنزاف موارد البيئة.

تتصف المشكلات البيئية بالطابع العالمي لامتدادها وتأثيراتها على بيئة الوطن العربي ، وبعضها تتميز وتتصف به بيئة الوطن العربي ، ومن هذه المشكلات القضايا البيئية:

النزاعات والحروب وتأثيرها على البيئة والتنمية المستدامة في الوطن العربي.

تلوث الهواء وتغير المناخ وأثرهما على المستوى العالمي والعربي.

العولمة والحكم الرشيد ، وتأثيرهما على البيئة في الوطن العربي.

اتساع الرقعة الحضرية (الحضرنة) في الوطن العربي.

البيئة الساحلية في الوطن العربي.

تدهور الغابات والمراعي في الوطن العربي.

نقص التنوع في الوطن العربي.

الزحف الصحراوي في الوطن العربي.

أنماك الإنتاج والاستهلاك غير المستدام.

المخلفات الصلبة والنفايات الخطرة والملوثات العضوية الثابتة.

الطاقة واستخداماتها في الوطن العربي.

الكوارث البيئية.

بعض الممارسات البيئية الايجابية والعملية

هناك بعض الممارسات العملية التي يمكن للمجتمعات الدولية والعربية وخاصة فئة الشباب القيام بها للحفاظ على البيئة لتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

لا تلق المخلفات عشوائيا : لأن إلقاءها يشوه المنظر العام ويدل على عدم الوعي بمخاطرها وفوائدها فهي مواد يمكن فرنها على مكوناتها وإعادة تدويرها واستخدامها ، مما يوفر استخدام الموارد .

ازرع شجرة : لزراعة الأشجار فوائد بيئية متعددة ، فهي تضفي على المكان ، وتوفر ملجأ وظلا للطيور والكائنات البرية وتنقي الهواء من ثاني أكسيد الكربون CO_2 وتطلق الأكسجين وامتصاصها لغاز ثاني أكسيد الكربون يخفف من مفعول ظاهرة الاحتباس الحراري.

حذار من الإفراط في استخدام المبيدات : إذا كان استخدام المبيدات شرا لابد منه (للحد من تكاثر الآفات) فلنستخدم النوع الأقل تسمية أم المبيد الطبيعي.

زين نوافذ المنزل الذي تسكن فيه بالأزهار.

أحط منزلك بالأشجار والورود بدلا من الأسلاك الشائكة أو قطع الزجاج المكسور.

ساهم في الجهود التطوعية لحماية البيئة.

اقتصد في استخدام سيارتك.

اجر صيانة دورية لسيارتك.

ساعد في تحسين وحماية جداول المياه والأنهار.

رشد من استخدامك لموارد المياه.

تطوع بوقتك لصيانة الحدائق العامة.

حافظ على طبقة الأزون.

حافظ على التنوع الحيوي.

تجنب شراء المنتجات التي تحتوي على موارد اصطناعية.

اختر المنتجات التي تكون قابلة لإعادة التدوير.

استعمل آلة حاسبة تعمل بالطاقة الشمسية.

ابتعد عن التدخين.

اعمل على الحد من التلوث الهوائي داخل المنزل.

وائم بين موارد دخلك وعدد أفراد أسرتك.

التزم بالتطعيمات .

رشد من استخدام مصادر الطاقة.

مارس أنماط الاستهلاك المستدام.

تتبع وسائل الإعلام البيئي.

ساهم في تكوين الضمير البيئي.

احترم ذوي الاحتياجات الخاصة.

III- وسائل التغلب والتخفيف من حدة المشكلات البيئية

أصبح موضوع البيئة ومشكلاته من أهم المواضيع التي تشير انشغال الإنسانية بأكملها رغم اختلافها من بيئة إلى أخرى.

فمواجهة المشاكل البيئية تتخذ عدة أشكال وأنماط التي يمكن أن نعددها على أطراف الأصابع : الوسائل العلمية ، الأنظمة القانونية ، لكن هناك عامل آخر يعتبر أكثر أهمية مما سبق ذكره ألا وهو التربية البيئية التي هي عبارة عن برنامج تعليمي ،غايته توضيح علاقة الإنسان وتفاعله مع بيئته الطبيعية ، وما بها من موارد لتحقيق اكتساب المتعلمين خبرات تعليمية ، تتضمن الحقائق والمفاهيم والاتجاهات البيئية حول البيئة ومواردها الطبيعية فهي جهد تعليمي موجه أو مقصود نحو التعرف على العلاقات المعقدة بين الإنسان وبيئته ، بأبعادها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والبيولوجية والطبيعية ، مع محاولة فهم هذه العلاقات ، حتى يكون المتعلم واعيا بمشكلات بيئية.

وقادرا على اتخاذ القرار نحو صيانتها، والإسهام في حل مشكلاتها، من أجل تحسين نوعية الحياة لنفسه ولأسرته ولمجتمعه وللعالم.

إن مهمة التربية في أن تجعل المتعلم مدركا للبيئة التي يعيش فيها بمشاكلها وعناصرها المختلفة.

فللتربية البيئية أهداف عديدة ، عملية ، معيارية ، فنية وتطبيقية بعد ذلك يمكن الانتقال إلى الوسائل الأخرى التي من شانها أن تخفيف من المشاكل البيئية حتى يكون لها أثر في ذلك.

أولا : المؤتمرات الدولية والإقليمية ودعوتها على التنمية المستدامة.

ثانيا : دور التكنولوجيا في الحفاظ على البيئة .

ثالثا : التشريعات والقوانين البيئية.

رابعا : تشجيع التربية البيئية.

خامسا : الإعلام البيئي.

سادسا : الأنشطة التثقيفية.

الخاتمــة

إن حق الاستثمار والانتفاع والتسخير الذي شرعه الله سبحانه وتعالى للإنسان يقابله بالضرورة واجب يقتضي المحافظة على الموارد الطبيعية كما وكيفا ، فلقد خلق الله جميع أسباب الحياة للإنسان ، وسخر له الموارد لتحقيق العديد من الأهداف ، لكن هاته الأهداف أصبح يراعي فيها مبادئ التنمية المستدامة ، وكذلك المتعة وتذوق الجمال ، فلا يجوز للإنسان إفساد البيئة بإخراجها عن طبيعتها الملائمة لحياة الإنسان ، كما لا يجوز استثمار تلك الموارد أو الانتفاع بها بشكل غير رشيد يفسد أقواتها ومواردها ، ويشعل في الحروب ، ويعرضها للفناء والتشويه.

الهوامش

د. إيمان عطية ناصف " اقتصاديات موارد البيئة " جامعة الإسكندرية ، فرع دمنهور، طبعة 2007 ،صفحة 73.

د. إيمان عطية ناصف ، د. هشام محمد عمارة " اقتصاديات موارد البيئة " جامعة الإسكندرية ، فرع دمنهور، طبعة 2007 ، صفحة 16.

Join Seager « Atlas de l'environnement dans le monde « Série N°02, Avril. 1993, p 10.

الدليل المرجعي للشباب العربي للمحافظة على البيئة ، نشر المنظمة العربية للتنمية الإدارية 2007 ، ص 177.

د. عارف صالح مخلف " الإدارة البيئية " (الحماية الإدارية للبيئة) طبعة عربية 2007 - عمان – الأردن ، صفحة 60.

Slemane Zemoun et Dominique Tabutin Population et environnement au Maghreb 1995 p.26.

د. غالب الفريجات " مؤشرات وقضايا التربية البيئية " مؤسسة الانتشار العربي ، الطبعة الأولى 2008 ، بيروت - لبنان صفحة 82.

د. إيمان عطية ناصف ، د. هشام محمد عمارة " اقتصاديات موارد البيئة " جامعة الإسكندرية ، فرع دمنهور، طبعة 2007 ، صفحة 20.

لواء دكتور محمد صلاح سالم " إدارة الأزمات والكوارث " (بين المفهوم النظري والتطبيقي العلمي) عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية طبعة 2005 ، صفحة 23.